الترتيب المعجمى فى كتاب الأصول للدكتور تمام حسان وأصوله التراثية

د. خالد فهمى(*)

تمهيد

أدرك بعض الباحثين الذين سبق أن عالجوا شيئًا من إنتاج الدكتور تمام حسان حقيقة مهمة وهى أنه مع عنايته بالدرس اللغوى من منظور حديث - كان شديد الحفاوة بالتراث اللغوى العربى، مؤصلاً له؛ يقول الدكتور محمد خليفة الدنَّاع فى مقاله: [تمام حسان مؤصلاً للتراث اللغوى] [ص٣٣١] : "كان تمام حسان مؤصلاً للتراث العربى فى مجال البحوث اللغوية" [١].

من هنا يكتسب هذا البحث شرعيته من جانب، ويهدف إلى أهمية الربط بين الأفكار الحديثة والمعاصرة التى تثيرها اللسانيات المعاصرة ونظرياتها المختلفة، وما توافر عندنا مما جاءنا عن أعلام الدراسات اللسانية العربية التراثية من جانب آخر.

وسوف تتوقف هذه الورقة أمام واحد من أهم فروع البحث المعجمى، وهو مسألة الترتيب المعجمى، ولاسيما أن للدكتور تمام حسان اقتراحًا كرر الدعوة إليه فى أكثر من مصنَّف لسانى له، وألح فى بيان أهمية تطبيقه فى صناعة المعجم الحديث.

وسوف يعالج هذا البحث المطالب التالية:

(١) اقتراح الدكتور تمام حسان: حدوده، وغاياته.

(٢) الأصول التراثية لاقتراح تمام حسان فى المعجمية العربية، العامة والمختصة، وتطبيقاتها.

والتوقف أمام المسألة مشغلة هذا البحث أمر مختار بعناية، لأكثر من هدف، ويمكن تلخيص هذه الأسباب فيما يلى:

١- إن الدكتور تمام حسان فى مناقشة اقتراحه، اتكأ على شىء سماه الخلط من قِبل المعجميين العرب القدامى بين ما هو نحوى وما هو معجمى؛ مما كان له أثره السيئ على الصناعة المعجمية من وجهة نظره.

---

* أستاذ بكلية الآداب - جامعة المنوفية.

وفحص هذه الدعوى مهم فى إطار ما يسمى بتداخل الاختصاصات، وأهمية الدراسات البينية فى مجال الدرس اللسانى فى العربية.

٢- إن مسألة الترتيب المعجمى واحدة من أهم فروع البحث المعجمى، كما يقرر هارتمان فى كتابه: [المعاجم عبر الثقافات] [ص٧٠] يقول: إن البحث المعجمى هو النشاط أو الدراسة الأكاديمية لموضوعات مثل تصنيف المعاجم واستعمالاتها ثم يفرد حديثاً عن بنية المعجم باعتبار أن القائمة هى الآلية الرئيسة لأى بيان معجمى، كما يشير إلى شيوع الترتيب الألفبائى. وهو ما يعكس ازدهار الدرس المعجمى فى العربية منذ القديم.

كما تهدف هذه الورقة إلى بيان أهمية فحص الموروث اللغوى فى المجالات اللغوية كافة، وهو ما سوف يقود إلى تعديل كثير من الأحكام المستقرة فى الدراسات المعاصرة. وإلى مطالب البحث:

[١] اقتراح الدكتور تمام حسان: حدوده، وغاياته

انطلق الدكتور تمام حسان فى التسويغ لمقترحه من باب نقد المعجمية العربية القديمة، وتقصيرها دون الوفاء بما يرجى منها، يقول فى [الأصول] [ص٢٨٦] :"وعلى الرغم من أن العرب كانوا من أسبق الأمم إلى النشاط المعجمى، لم يسبقهم فيما أعلم فى هذا المضمار إلا الصينيون، فإن هذه المعاجم ... تقصر دون الوفاء بمطالب النشاط المعجمى لأسباب هامة".

وسوف يتضح من خلال عرض الأصول التراثية لمقترح الدكتور تمام حسان أن كلامه فى نقده فى حاجة إلى شىء كثير من التأمل والمراجعة.

ويؤسس الدكتور تمام حسان لنقده للمعجمية العربية فى فرع الترتيب المعجمى معتمداً على القول بالتداخل بين معطيات علم النحو وعلم المعجم، وتحكيم معطيات علم النحو فى الصناعة المعجمية؛ مما أضر بالوظائف المرجوّة من المعجم العربى، يقول فى تفسير ما حدث من المعجميين القدامى فى مسألة الترتيب المعجمى القائم على الاشتقاق بما يمكن أن نسميه بالتداخل بين الحقول المعرفية [ص٢٧٦] إنها: "تختار المداخل من مواد الاشتقاق لا من المفردات؛ أى أنها تبنى المعجم، وهو من فقه اللغة، على ما اخترعه النحاة من أصول مجردة، لا على ما تستعمله اللغة من كلمات، وبهذا تفرض على من يبحث عن معنى الكلمة فى ثنايا المعجم أن يكون على علم بتجريدات النحاة من أصول، وبخاصة أهل الاشتقاق، وهو بحسب حروف المادة ثلاثة

كما بدا فى تطبيقاتهم، وهذا لا يتأتى فى العادة إلا لطائفة من الناس قلما تجد بنفسها الحاجة إلى استعمال المعجم، أما جمهور مستعملى المعاجم فهم من الشادّين والمتعلمين لم يصلوا إلى الجانب النظرى من صناعة النحو. وهكذا تصبح المعاجم العربية صعبة الاستعمال على المبتدئين، وهم أولى الناس باستعمالها". وهذا الكلام صحيح جدًا من زاوية تحكيم معيار طبيعة المستعمل، ومن معيار تحكيم مبدأ التيسير على المستعمل فيما يعرف فى الدرس المعاصر برعاية منظور المستعمل، ولاشك أن مقترح الدكتور تمام حسان يتغيا تحقيق هذه الغاية. وهى الغاية التى لم تغب فى المعجمية العربية فى نسختها التراثية كما سيتضح فيما بعد.

ولكن من المهم أن يحمل نقد الدكتور تمام حسان لصنيع المعجمية العربية على رعاية المستعمل المعاصر من متعلمى زماننا نحن، وإلا فإن المستعمل القديم كان يعيش أجواء مختلفة، لا يقال فى حقه بإطلاق أن ترتيب المعاجم القديمة لا يتأتى فى العادة إلا لطائفة قليلة من أمثال ذلك المستعمل القديم.

ومع ذلك فسنجد تأصيلاً تراثيًا أسهم فى إخراج عددٍ من المعاجم التراثية العامة والاصطلاحية فى تاريخ المعجمية العربية، يعود أقدمها ـ كما سيتضح ـ إلى العصر الذهبى فى المعجمية العربية فى القرنين الرابع والخامس الهجريين.

على أنه من المهم جدًا أن نثمن الرؤية المعرفية التى وقفت وراء نقد صنيع المعجمية العربية التى سمّاها الدكتور تمام حسان تداخلاً بين ما هو نحويٌّ وبين ما هو معجميٌّ أو فقه لغة على حد تعبيره.

وإن كان من الممكن أن نُرَجعِ هذا التداخل إلى تقدير واحدة من الخصائص العامة للغة العربية وهى أنها لغة اشتقاق، كما يمكن النظر إلى أن تحكيم معيار الاشتقاقية ـ إن صح التعبير ـ فى صناعة المعجم العربى القديم من زاوية أخرى تطلب عدم تشتت مشتقات الجذر الواحد على أبواب مختلفة إن نحينا تحكيم مبدأ الاشتقاقية، وطبقنا أصول مقترح الدكتور تمام حسان الذى دعا إليه فى أصوله، وفى غيره من مصنفاته اللسانية .

ويستمر الدكتور تمام حسان فى نقده مناهج الترتيب المعجمى مستثمرا معيار التيسير على المستعملين، فقال فى الأصول [ص٢٨٦] : "إن "ترتيب المداخل يفترض فى طلاب العونِ من المعجم أن يكونوا على علم بمختلف القواعد ... ؛ ليعرفوا ما تخضع له الكلمات من ظواهر النقل، والقلب والحذف ... ويعرفوا الألف الواوية، والألف

اليائية، ويعرفوا الحرف الأصلى والزائد، وهلمّ جرّا، وذلك لا يتأتى للمبتدئين الذين هم أكثر الناس حاجة إلى المعجم".

ثم عاد فأكد دعوته إلى مقترحه، فقال [ص٢٨٧] : "سبقت الإشارة إلى اعتماد المعاجم العربية، وترتيب المداخل على مادة الاشتقاق".

ونحن نرى هذا الإلحاح هو المقدمة المنطقية لتسويغ الدعوة إلى تطبيق اقتراحه الذى يعيّن حدوده بقوله: "وأحب أن أدعو هنا إلى: جعل كل كلمة فى اللغة مدخلاً خاصا بنفسها".

وهذا المقترح بهذه الحدود هو ما استطعنا أن نكشف النقاب عن سبق المعجمية العربية إلى استعماله وتطبيقه فى عدد من المعاجم القديمة التى وصلت إلينا.

وقد وقفت مجموعة من الفوائد رآها الدكتور تمام حسان فى خلفية تبنيه الدعوى إلى اقتراحه، يعبر عنها قائلاً فى الأصول [ص٢٨٧]: " ومن شأن ذلك أن يضع [يقصد اقتراحه] الأمور فى صورتها السهلة، بالنسبة لطلاب المعنى المعجمى، فلا يحتم عليهم أن يصلوا إلى الكلمة من خلال أصلها المجرد".

ولا شك أن هذه الفائدة هى أعلى فوائد تطبيق ترتيب المداخل المعجمية وفق منطوقها النهائى من دون تحكيم معيار الاشتقاقية، وهو أثر من آثار إخلاص الدكتور تمام حسان لمدارس اللسانيات الحديثة، ولاسيما إذا عرفنا أن مقترحه هذا قد ظهرت بداياته فى مصنفاته التى يرجع ظهورها إلى أول النصف الثانى من القرن العشرين الميلادى على ما يظهر فى «مناهج البحث فى اللغة»، ثم فى «اللغة العربية معناها ومبناها»، ثم فى «الأصول».

ولا يقف الأمر عند فائدة التيسير، وإنما يذكر كذلك عددًا من الفوائد المحققة التى تنتج من جراء تطبيق مقترحه، يقول: "أضف إلى ذلك أن جعل الكلمة مدخلاً بنفسها يرد على اتهام المستشرقين للغة العربية بفقر معجمها، فقد نظر هؤلاء فى المعجم العربى، وقارنوا عدد المداخل فيه بعدد المداخل فى معاجمهم، وكان سرورهم عظيمًا أن وجدوا الإحصاء فى صف لغاتهم، وغفلوا عن أن المادة العربية الواحدة تشتمل على عدد عظيم من المشتقات، لو جعل كل واحد منها مدخلا لتغيرت صورة الإحصاء".

وهذه الروح التى تقف فى صف الانتصار لتراث هذه الأمة، هى أحد الوجوه المهمة التى لا يصح أن تغيب عن أى قراءة، لجهد ذلك اللغوى الكبير.

إن فكرة الانتماء للتراث، ودفع التهم الموجهة إليه بادية جدًا فى النص السابق؛ مما يدل على أن الانتصار للسانيات الحديثة فى دراسة ظواهر العربية ومشكلاتها من جانب حسان لم يكن يعنى مطلقًا التنكر لقيم التراث اللغوى فى العربية.

ويعود إلى شىء مما سبق أن ذكره فى الأصول فى بيان الخلفية الكامنة وراء مقترحه فى «اللغة العربية معناها ومبناها»، مما يظهر انتماءه وانتصاره لتراث العربية، فيقول [ص ٣٢٩]: "وقد كنا نسمع أن معاجم اللغات الأخرى تشتمل على أعداد من الكلمات أكثر مما تشتمل عليه المعاجم العربية، فإذ قد عرفنا أن المعاجم العربية، لا تعدد الكلمات بمداخل مستقلة، وإنما تعدد المواد كلا بمدخل خاص أدركنا أن المعاجم الأجنبية، ربما كانت أكثر عدد مداخل لا عدد كلمات من المعاجم العربية".

وقد حكم هذا النظر فى تصوره لحقيقة المعجم عندما قرر فى «اللغة العربية معناها ومبناها» أن المعجم قائمة من الكلمات، على ما جاء فيه [ص١٠، ٣١١].

ومن المهم أن نلّمح إلى أن اقتراحه بترتيب المداخل فى المعجم وفقًا لمبدأ الاستقلال يمكن أن يعود إلى أوائل عقد التسعينيات، على ما جاء فى كتابه «مناهج البحث فى اللغة» [١٩٥٥م] حيث يقرر [ص٢٦٦ - ٢٧٣]: من خلال حديثه عن "ما المعجم" ما يمكن أن يفهم منه فكرة استقلال كل كلمة بمدخل خاص، واختياره للترتيب على أساس المخرج الصوتى يمكن أن يكون عن الترتيب الداخلى للمعلومات.

إننا يمكن أن نقرر، بشكل أكثر تفصيلاً، كما يقول الدكتور تمام حسان فى الأصول [ص٢٩٩]: أن عمق أثر المعرفة النحوية كان له أثره السيئ فى مجال فقه اللغة فى بابة الترتيب المعجمى للمداخل، يقول: "ويأتى بعد ذلك أصل مأخوذ عن النحاة، وهو أن الكلمة المفردة فى اللغة العربية قد تكون ثنائية، وقد تكون ثلاثية، وإذا كان هذا الأصل هو الأساس الذى بنيت عليه الصيغ الصرفية فى علم الصرف، فإن اللغويين قد اتفقوا بهذا الأصل المستعار فى عدة مجالات منها:

- أنهم اعتمدوا على هذا الأصل فى ترتيب المعاجم؛ فرأينا المعاجم الأولى ترتب الكلمات ترتيبا داخليًا فتأتى بالثنائى أولاً ثم يأتى بعده الثلاثى. إلخ، فعل ذلك الخليل فى كتاب العين، والقالى فى البارع، والأزهرى فى التهذيب، والصاحب فى المحيط، وابن سيده فى المحكم، وابن دريد فى الجمهرة، وابن فارس فى المجمل، ومقاييس اللغة».

إننا أمام مجموعة من العلامات التى تشكل حدود اقتراح الدكتور تمام حسان

وغاياته، يمكن إجمالها فيما يلى:

١ - الدعوة إلى ترتيب مداخل المعجم، وهو المقصود بالترتيب الخارجى أو الأكبر، وفق شكل الكلمات النهائى، معتبرين كل كلمة مدخلا مستقلا، صانعين قطيعة معرفية مع معيار الاشتقاقية.

٢ - تحكيم معيارين مهمين جدًا ولهما حضور فى الفلسفة الكامنة فى المعجمية الحديثة هما:

(أ) معيار رعاية التيسير على المستعمل فيما يسميه هارتمان فى المعجم عبر الثقافات [ص ٧١] بـ User Perspective أو منظور المستعمل.

(ب) الانتصار للتراث، والدفاع عنه فى مواجهة اتهامات المستشرقين.

وبتعانق هذين المعيارين يظهر لنا حقيقة الموقع الفكرى الذى يشغله الدكتور تمام حسان فى حقل اللسانيات العربية المعاصرة بين الذين انحازوا إلى تطبيق مفهوم الربط بين المنجز اللسانى للغويين العرب القدماء، والمنجز اللسانى الحديث؛ مما يعكس وعيا تامًا بقيمة التواصل والانفتاح على الآخر، وإفادة العربية من هذا التواصل.

(جـ) معيار احترام القيم المعرفية التى تسعى نحو احترام التصنيف، واحترام قيم التخصصات العلمية، فى نقد أثر المعرفة النحوية على فقه اللغة، وأضرارها من وجهة نظره.

هذا هو مجمل حدود اقتراح الدكتور تمام حسان وغاياته التى سعى جاهدًا إلى الكشف عنها فى المواضع التى تحدث فيها عن اقتراحه بضرورة ترتيب المداخل المعجمية معتبرين كل كلمة مدخلا مستقلاً، متوصلا إلى اقتراحه عبر مجموعة من المقدمات الأساسية التى لم تخل - فى بعض منها - من نقد لمناهج المعجم العربى القديم.

ومن الحق أن نقرر أننا فى مقام بيان الأصول التراثية لاقتراح الدكتور تمام حسان وتطبيقاته فى المعجمية العربية قديمًا نغذى هذه الروح المنتمية للتراث العربى والإسلامى، وإن بدا فى الظاهر أننا نستدرك على أستاذنا الكريم.

ومن الحق كذلك أن نقرر أن حدود اقتراحه وغاياته قد ظهرت فى تاريخ المعجمية العربية، بفرعيها العامة والاصطلاحية، كما سيظهر الآن .

[٢] الأصول التراثية لاقتراح الدكتور تمام حسان فى المعجمية العربية العامة

والمختصة وتطبيقاتها

يعرف المدخل Headword أو ما يترجم عادة بمصطلح المدخل المعجمى lexical Entry بأنه: "البند المعجمى الواقع فى رأس مادة معجمية؛ أى كلمة المراد شرحها".

على ما جاء فى معجم المصطلحات اللغوية، للدكتور البعلبكى [ص٢٨١].

واقتراح الدكتور تمام حسان ألصق بما يعرف بالترتيب الخارجى، أو الأكبر للمدخل ونقصد به تصميم هذه المداخل وتوزيعها، وتنسيقها، بعيدًا عما يندرج تحتها من شروح للمعنى، أو معلومات أخرى مما يستقل بدراسته الترتيب الداخلى للمعجم.

وقد عرف المعجم العربى مبدأ التيسير على المستعملين، وحكمه فى بناء تيار معجمى كامل كان فرعًا من مدرسة الترتيب الهجائى الألفبائى، رتبت فيه الكلمات على اعتبار الاستقلال؛ بحيث ظهرت كل كلمة كمدخل مستقل من دون العودة إلى جذور أو إلى إعادة أصل الاشتقاق، وهو عين ما نادى به الدكتور تمام حسان فى اقتراحه الذى مرّ بيانه.

[٢/أ] الأصول التراثية لاقتراح الدكتور تمام حسان وتطبيقاته فى المعاجم العامة قديما

استطاعت هذه الورقة أن تقف على معجمين قديمين تراثيين لاثنين من أعلام المعجمية العربية، صمما معجميهما على ما يقترحه الدكتور تمام حسأن، ونصا على ذلك فى مقدمتى معجميهما هذين، وأبانا عن حدود المنهج المطبق وغاياته التى تطابقت مع حدود اقتراح الدكتور تمام حسان وغاياته. وهما معجم: [أسماء بقايا الأشياء] لأبى هلال العسكرى، المتوفى سنة ٤٠٠هـ، ومعجم [غوامض الصحاح] لابن أيبك الصفدى المتوفى سنة ٧٦٤هـ.

وقد جاء فى مقدمة المعجمين حديث واضح عن حدود ما طبقاه وغايات ذلك المنهج، يقول العسكرى، فى مقدمة أسماء بقايا الأشياء [ص٣٠]: "وقد نظمت ما ضمنته إياه على نسق حروف المعجم، فبدأت بما كان أوله همزة، فأتبعته بما كان فى أوله الباء، كذلك إلى آخر الحروف".

وهو وإن سكت عن بقية خطوات المنهج، فلم يشر إلى اعتباره شكل الكلمة النهائى، فإنه كذلك لم يشر إلى الأصل الاشتقاقى.

ومن ثم فإن الاحتكام لمواد المعجم نفسه هو الحكم فى بيان تطبيقه لما ندعيه من

ترتيبه الكلمات / أو المداخل بعيدًا عن مفهوم تحكيم معيار الاشتقاقية أو العودة إلى الجذور، وهو عين ما نادى به الدكتور تمام حسان ، يقول العسكرى:

(أ) - ص ٣١ [أثارة] = البقية.

- ص٣٢ [أسن] = بقية شحم الناقة.

- ص٣٢ [الأبلة] = باقى التمر فى أسفل الجلة [وعاء]

- ص٣٣ [الرأس] = بقية العسل فى موضع النحل.

- ص٣٤ [الأصية] = بقية الطعام على المائدة.

(ب) - ص ٣٤ [البسيل] = بقية الشراب فى الإناء.

(ت) - ص٣٥ [التلية] = بقية الدَّين.

- ص٣٧ [التامور] = بقية الشيماء.

- ص٣٧ [التريكة] = بقية الكلأ فى مواضع الرعى.

(هـ) - ص٧١ [الهشامَة] = بقية الحطب على الأرض بعدما حمل.

- ص٧٢ [الهوادة] = بقية القوم.

- ص٧٢ [الهلال] = بقية الماء فى الحوض.

ومراجعة هذه المواد / أو المداخل من أبوابها بترتيب ما جاء فى هذا المعجم يدلك على تطبيق مبدأ استقلال المداخل فى الترتيب المعجمى؛ مما يثبت أن المعجمية العربية اعتبرت كل كلمة مدخلاً مستقلاً منذ القرن الرابع الهجرى، ولاسيما عندما نعرف أن أبا هلال العسكرى توفى سنة ٤٠٠هـ.

والأمر نفسه موجود فى مقدمة الصفدى لمعجمه «غوامض الصحاح» وفى ترتيبه لمداخل معجمه، يقول فى مقدمته [ص٦١] بعد أن بين أن صعوبة بناء الصحاح، وعسره على المستعمل هو الذى قاده إلى ترتيبه مداخل معجمه معتبرًا كل كلمة مدخلاً مستقلاً على وفاق حروف المعجم الفبائيّا، يقول إن ترتيب الصحاح "يحتاج إلى معرفة أصول الكلمة، وما طرأ عليها من الزوائد، وذلك أمر يشقّ ولوج بحاره الزخَّارة، ويتعذر على من رآه تناول الكواكب السيَّارة".

وهذا المنطق الذى دعا الصفدى إلى اتباع هذه الطريقة فى ترتيب الكلمات / المداخل فى معجمه معبّر عنه بلغة تذكرك بما نقلناه من الدكتور تمام حسان التى

تتلخص فى أمرين، هما الأمران اللذان مرّا بك فى كلامه، وهما:

- المشقة والعسر على المستعملين [معيار التيسير على المستعملين].
- شبهة التداخل بين ما هو من حقل النحو وتحكيمه فى بناء المعجم، وصناعته، وترتيب مداخله [فى الحاجة إلى معرفة أصول الكلمة، وما طرأ عليها من الزوائد].

ولذلك نراه يقرر قائلاً [٦٢]: "ورتبت ذلك على حروف المعجم، فأذكر أول الكلمة وثانيها فى مكان لا محيد عنه، ولا محيص، وأودعها فى سفر سَفُور بعد ما كان فى عيص عويص، وأعرضها فى سوق نفاق، سومه على المفلس رخىٌ، ورخيص، ليخف كل المئونة، ويرف ظل المعونة". والمأمول مراعاة عبارة طلب التيسير الكثيرة فى نهاية الاقتباس. وفيما يلى نقل بترتيبه لعدد من المداخل يعكس قدم تطبيق ترتيب المداخل وفق منطوقها النهائى؛ يقول الصفدى فى غوامض الصحاح:

(أ) - ص ٨٨ = [أبابيل] = فِرَق.

- ص = [إبّان] = أوان الشىء.

- ص ٨٨ = [أبرهة] = ذو النار. (من ملوك اليمن)

- ص ٨٨ = [الابن] = الولد.

- ص ٨٩ = [الإبريم] = الحرير.

- ص ٨٩ = [الإبريق] = السيف الصقيل.

(ب) - ص ١٠٦ = [البازى] = واحد البزاة.

- ص ١٠٦ = [الباطيَة] = إناء.

- ص ١٠٦ = [البان] = شجر طيب الريح.

- ص ١٠٦ = [الباءة] = النكاح.

- ص ١٠٦ = [الباه] = الجماع.

- ص ١٠٦ = [البأو] = الكبْر.

- ص ١٠٧ = [البخنق] = قطعة تضعها الجارية لتقى بها خمارها من القذر.

(ت) - ص ١١٠ = [تأبين] = أن تقفو أثر الشىء.

- ص ١١٠ = [تأويل] = التفسير.

- ص ١١٠ = [تبيان] = الوضوح.

- ص ١١٠ = [تبوك] = نزو الحمار.

- ص ١١٠ = [تترى] = واحد بعد واحد.

(ع) - ص ١٧٠ = [عانة] = القطيع من حمار الوحش.

- ص ١٧٠ = [عبشمى] = منسوب إلى عبد شمس.

- ص ١٧٠ = [عبقسى] = منسوب إلى عبد القيس.

- ص ١٧٠ = [عبدرى] = منسوب لعبد الدار.

- ص ١٧٠ = [عثمان] = فرخ الحبارى.

(و) - ص ٢٢٨ = [الوأى] = حمار الوحش.

- ص ٢٢٨ = [الوأى] = الوعد.

-ص ٢٢٨ = [الوشاية] = السعاية.

وهذه النقول المقتبسة من أبوابها المختلفة وفق ترتيبها هناك تثبت مرة ثانية أن المعجمية العربية القديمة عرفت ترتيب المداخل غير المعتمدة على معيار الاشتقاقية؛ بحدودها وغاياتها التى يدعو إليها الكريم الدكتور تمام حسان.

ومثلما اتضح قِدَمُ ذلك الترتيب للمداخل فى المعاجم العامة، ظهر كذلك فى المعاجم الاصطلاحية، سواء كانت خاصة بمصطلحات علم واحد، أو كانت لمصطلحات علوم متعددة.

وقد ورد فى تراث المعاجم الفقهية بعض المعاجم التى رتبت الكلمات / المداخل على أساس أن كل كلمة ما هى إلا مدخل مستقل، ومثل ذلك الاتجاه معجم لغات مختصر ابن الحاجب، لمحمد بن عبد السلام بن إسحاق الأموى المالكى المتوفى سنة ٨٠٦ هـ، وقد التفت إلى ذلك الدكتور حسين نصار فى كتابه الرائد: المعجم العربى نشأته وتطوره [٥٦/١] مفسرًا سبب لجوء الفقهاء إلى هذا الترتيب بأنه هو الخوف من "ألاّ يستطيع الفقهاء والباحثون الوصول إليها [أى إلى المصطلحات الفقهية أو ألفاظ الفقه] لعدم معرفتهم حروفها الأصول"!

وهو الأمر الذى لمسه كتاب تراث المعاجم الفقهية فى العربية، وأشار إليه كتاب المعاجم الأصولية فى العربية، دراسة فى الصناعة والمعجمية.

كما ظهرت تطبيقات هذا الترتيب فى معاجم المصطلحيات أو فى معاجم المصطلحات المتعددة العلوم، ويمكن أن نتوقف هنا أمام:

١ - التعريفات للجرجانى ٨١٦ هـ.

٢ - التعريفات والاصطلاحات، لابن كمال باشا ت ٩٤٠هـ.

٣ - التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوى المصرى ١٠٣١ هـ.

وقد ظهر فى مقدماتها بيان حدود الترتيب، وبعض غاياته، يقول الجرجانى [١٩] وقد رتبته "على حروف الهجاء من الألف والباء إلى الياء تسهيلاً".

ويمكن ملاحظة توالى المصطلحات التالية من باب الألف، وفق ترتيبه ليظهر لنا ترتيبه مداخله مراعيًا مبدأ اعتبار كل كلمة مدخلاً مستقلاً:

فقد جاءت المصطلحات التالية فى التعريفات [ص ٥٧]:

" الثرم / الثقة / الثلم / الثلاثى / الثمامية / الثناء / الثواب".

وكذلك فعل ابن كمال باشا فى معجمه التعريفات والاصطلاحات، يقول فى مقدمته [ل/٢]" [فهذه تعريفات جمعتها، واصطلاحات أخذتها من كتب القوم، ورتبتها على حروف الهجاء من الألف والباء إلى الياء؛ تسهيلاً تناولها للطالبين، وتيسيرًا تعاطيها للراغبين".

وفى هذا النقل فى مقدمته بيان لترتيبه المداخل، والغاية من وراء ذلك، وهو الأمر الذى ظهر من تكرار لفظين دالين على التيسير على المستعملين.

وفى باب الذال توالت الكلمات / المداخل التالية [ل ٣٧ / ب]:

"ذات الشىء / الذبول / الذراع / الذمة / الذنب / الذوق / ذوو الأرحام / ذو العقل / الذهن".

وهى كما ترى مرتبة على اعتبار كل كلمة مدخلاً مستقلاً، وهو ما يتضح كذلك فى ترتيب الكلمات التالية [ل ٧١ / أ]:

"الماء / الماهية / المادة / المباح / المباشرة / المقاطع / المتصرفة / المتقابلان / المتواتر / المترادف" ولو حكّمنا معيار الاشتقاقية لتفرقت هذه الكلمات على أبواب مختلفة ودائمًا جمعت هنا لاعتبار تحكيم الشكل النهائى للكلمات، واعتبار كل كلمة مدخلاً مستقلاً.

والأمر نفسه ظهر فى معجم التوقيف على مهمات التعريف، للمناوى المتوفى سنة

- ص ١١٠ = [تبيان] = الوضوح.

- ص ١١٠ = [تبوك] = نزو الحمار.

- ص ١١٠ = [تترى] = واحد بعد واحد.

(ع) - ص ١٧٠ = [عانة] = القطيع من حمار الوحش.

- ص ١٧٠ = [عبشمى] = منسوب إلى عبد شمس.

- ص ١٧٠ = [عبقسى] = منسوب إلى عبد القيس.

- ص ١٧٠ = [عبدرى] = منسوب لعبد الدار.

- ص ١٧٠ = [عثمان] = فرخ الحبارى.

(و) - ص ٢٢٨ = [الوأى] = حمار الوحش.

- ص ٢٢٨ = [الوأى] = الوعد.

- ص ٢٢٨ = [الوشاية] = السعاية.

وهذه النقول المقتبسة من أبوابها المختلفة وفق ترتيبها هناك تثبت مرة ثانية أن المعجمية العربية القديمة عرفت ترتيب المداخل غير المعتمدة على معيار الاشتقاقية؛ بحدودها وغاياتها التى يدعو إليها الكريم الدكتور تمام حسان.

ومثلما اتضح قِدَمُ ذلك الترتيب للمداخل فى المعاجم العامة، ظهر كذلك فى المعاجم الاصطلاحية، سواء كانت خاصة بمصطلحات علم واحد، أو كانت لمصطلحات علوم متعددة.

وقد ورد فى تراث المعاجم الفقهية بعض المعاجم التى رتبت الكلمات / المداخل على أساس أن كل كلمة ما هى إلا مدخل مستقل، ومثل ذلك الاتجاه معجم لغات مختصر ابن الحاجب، لمحمد بن عبد السلام بن إسحاق الأموى المالكى المتوفى سنة ٨٠٦ هـ، وقد التفت إلى ذلك الدكتور حسين نصار فى كتابه الرائد: المعجم العربى نشأته وتطوره [٥٦/١] مفسرًا سبب لجوء الفقهاء إلى هذا الترتيب بأنه هو الخوف من "ألاّ يستطيع الفقهاء والباحثون الوصول إليها [أى إلى المصطلحات الفقهية أو ألفاظ الفقه] لعدم معرفتهم حروفها الأصول"!

وهو الأمر الذى لمسه كتاب تراث المعاجم الفقهية فى العربية، وأشار إليه كتاب المعاجم الأصولية فى العربية، دراسة فى الصناعة والمعجمية.

كما ظهرت تطبيقات هذا الترتيب فى معاجم المصطلحيات أو فى معاجم المصطلحات المتعددة العلوم، ويمكن أن نتوقف هنا أمام:

١ - التعريفات للجرجانى ٨١٦ هـ.

٢ - التعريفات والاصطلاحات، لابن كمال باشا ت ٩٤٠هـ.

٣ - التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوى المصرى ١٠٣١ هـ.

وقد ظهر فى مقدماتها بيان حدود الترتيب، وبعض غاياته، يقول الجرجانى [١٩] وقد رتبته "على حروف الهجاء من الألف والباء إلى الياء تسهيلاً".

ويمكن ملاحظة توالى المصطلحات التالية من باب الألف، وفق ترتيبه ليظهر لنا ترتيبه مداخله مراعيًا مبدأ اعتبار كل كلمة مدخلاً مستقلاً:

فقد جاءت المصطلحات التالية فى التعريفات [ص ٥٧]:

" الثرم / الثقة / الثلم / الثلاثى / الثمامية / الثناء / الثواب".

وكذلك فعل ابن كمال باشا فى معجمه التعريفات والاصطلاحات، يقول فى مقدمته [ل/٢]" [فهذه تعريفات جمعتها، واصطلاحات أخذتها من كتب القوم، ورتبتها على حروف الهجاء من الألف والباء إلى الياء؛ تسهيلاً تناولها للطالبين، وتيسيرًا تعاطيها للراغبين".

وفى هذا النقل فى مقدمته بيان لترتيبه المداخل، والغاية من وراء ذلك، وهو الأمر الذى ظهر من تكرار لفظين دالين على التيسير على المستعملين.

وفى باب الذال توالت الكلمات / المداخل التالية [ل ٣٧ / ب]:

"ذات الشىء / الذبول / الذراع / الذمة / الذنب / الذوق / ذوو الأرحام / ذو العقل / الذهن".

وهى كما ترى مرتبة على اعتبار كل كلمة مدخلاً مستقلاً، وهو ما يتضح كذلك فى ترتيب الكلمات التالية [ل ٧١ / أ]:

"الماء / الماهية / المادة / المباح / المباشرة / المقاطع / المتصرفة / المتقابلان / المتواتر / المترادف" ولو حكّمنا معيار الاشتقاقية لتفرقت هذه الكلمات على أبواب مختلفة ودائمًا جمعت هنا لاعتبار تحكيم الشكل النهائى للكلمات، واعتبار كل كلمة مدخلاً مستقلاً.

والأمر نفسه ظهر فى معجم التوقيف على مهمات التعريف، للمناوى المتوفى سنة

١٠٣١ هـ.

من هذه المتابعة للمعاجم العربية التى رتبت الكلمات / المداخل وفق منطوقها أو شكلها النهائى، من غير تحكيم تطبيق فكرة التجريد أو الرد إلى الأصول الاشتقاقية. يتضح لنا قدم الأصول الذاتية لاقتراح الدكتور تمام حسان، مما يبرئ المعجميين العرب من الاتهامات الواقفة خلف المقترح، ويكشف عن عناية المعجمية العربية القديمة بتحكيم بعض من الغايات التى دفعت الدكتور تمام حسان إلى تبنى الدعوة إلى اقتراحه بشأن ترتيب المداخل أو الكلمات على اعتبار كل كلمة مدخلاً مستقلاً برأسه من غير تحكيم لفكرة الجذور، أو الاشتقاق.

ظهرت العناية بمنظور المستعمل، والتيسير على طلاب العون من المعجم، كما بدا فى مقدمات تلك المعاجم التى عرضنا لها.

كما ظهر عدم التداخل المعرفى بين ما هو نحوى وما هو من فقه اللغة، كما بدا من ترتيب الكلمات / المداخل على أساس اعتبار كل كلمة مدخلاً مستقلاً.

كما بدا اتساع خريطة تطبيق حدود هذا الترتيب وغاياته فى المعجمية العربية العامة والاصطلاحية.

حواشى البحث

ضُمِّنت الإحالات المرجعية فى أثناء متن البحث؛ طلبًا للتيسير على القارئ، ولم يشذ سوى ما يلى:

١ - انظره : ص ٢٤٩ .

٢ - انظره : ص ١٢٨ ـ ١٢٩.

٣ - يقول ص ٢٧٣ : "وعندى أن أولى طرق ترتيب المعاجم بالاعتبار هى طريقة الترتيب على أساس المخارج" . ومما يؤكد أن اختياره هنا خاص بالترتيب الداخلى أو ما يسمى بالبنية الصغرى للمعجم أن حديثه جاء عن المعلومات الواجب توافرها فى المعجم وهى: "الهجاء، والنطق، والتحديد الجرماطيقى، والشرح"، ثم يقول: "فهذه الطريقة ـ أى طريقة الترتيب الصوتى على حسب المخارج ـ تعطى إلى جانب المعلومات المعجمية عنصرًا من عناصر الدراسة الأصولية التى لا يمكن أن يستغنى المعجم عنها".

ومن هنا فإن اقتراحه الذى نفرد له هذا البحث لم يطرأ عليه تطوير فيما يتعلق بجزئية الترتيب الخارجى.